



روى أحمد وابن خزيمة والبيهقي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((إن أخاف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر.. الرياء)). وقد جوَّد إسناده المنذري في الترغيب، وصحح إسناده ابن مفلح في الآداب الشرعية، ووضعه الألباني في الصحيح.

لا حرج أن يفرح المؤمن بثناء الناس عليه، وإنما الرياء ما كانت النية فيه لغير الله، بحيث لو كان المرء وحده لم يعمل.

والرياء أبواب:

1- الرياء بالإيمان: وهو النفاق بأن يظهر الإيمان ويبطن الكفر.

2- الرياء بالجسد: بإظهار ما ينم عن الاجتهاد في العبادة، وتتكلف ظهور بقعة في الجبهة مثلاً، أو يبس في الشفتين من أثر الصيام، ومثل طأطأة الرأس في المشي، أو تشعيث الشعر كعلامة للزهد.

3- الرياء بالقول: وهو التسميع ((مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ)). (متفق عليه)، كالنطق بالحكم والآثار والمواعظ لإظهار العناية بأحوال الصالحين، وتحريك الشفتين بالذكر والهمس بحرف السين في حضرة الناس ليقال: ذاكر مستغفر.

4- الرياء بالعمل: كإطالة القيام والركوع والسجدة والتظاهر بالخشوع.

5- الرياء بالمكانة: كالذي يتتكلف أن يطلب زيارة العلماء وأهل الفضل والصلاح ليقال: إنه منهم.
والمدار هنا على الدافع الأساسي للعمل.

وأصل الرياء هو حب الثناء والحمد من الناس، وكراهيته الذم، والطمع فيما في أيديهم.

والعارض أثناء العبادة من ذلك لا يضر ولا يفسد العبادة.

وبعضهم يترك العمل خوفاً من أن يكون رياء، وهذا الآخر خطأ ومجاراة للشيطان، ودعوة إلى البطالة وترك الخير، فما دام

الدافع الأصلي صحيحاً فلا يترك العمل لخاطر الرياء، ولذلك قال الفضيل بن عياض "العمل من أجل الناس شرك، وترك العمل من أجل الناس رباء، والإخلاص أن يعافيك الله منهما".

طالب في حادثة سنه يتوجه للتدريس، ويظهر التوفيق، ويُعزّ عليه أن يقول: لا أعرف، ويتنقص شخصية الكبار فيقول: عندي، والذي يظهر لي، ويغلب على ظني، والذي تطمئن إليه النفس!

ويندفع للرد على غيره، والتتبّيـه المفرط على أخطاء الآخرين، وكأنهم بلا صوابات، على أنه لا يتقبل نقدهم أو تخطّيـتهم له. آخر يلهـه فرض الكفاية عن فرض العين، ويطيل الوقوف عند الفرعـيات التي قد لا يحتاجها الناس إلا في النادر، ولا يتكلـم في مسائل الإلـاحـص والأخـلـاق والـبر (انظر مختصر منـاج القـاصـدـين)، وما ذاك إلا لأن اهـتمـامـاتـ العامة تدور حولـها.

ثالث يفرح بالجـدل وكـثـرةـ الكلـام، ويـتهـيـأـ لـلـمنـاظـرـةـ، وـيـعلـنـ المـباـهـلـةـ عـنـدـ أـوـلـ اـحـتكـاكـ، وـماـ ضـلـ قـومـ بـعـدـ هـدـىـ كـانـواـ عـلـيـهـ إـلـاـ أـوـتـواـ الجـدلـ، وـغـالـبـ ماـ يـحدـثـ فـيـ المـنـاظـرـ هوـ استـعـارـضـ مـعـرـفـيـ وـلـغـوـيـ، وـسـعـيـ لـإـفـحـامـ الخـصـمـ وـإـقـحـامـهـ وـإـظـهـارـ عـزـهـ وـتـنـاقـضـهـ أـوـ فـسـادـ مـعـتـقـدـهـ.

حين يسمع بعض الحق من خصمه يضيق صدره، وسرعان ما يضع العـراـقـيلـ أـمامـهـ لـعـلـهـ يـتـرـاجـعـ، فـإـنـ رـآـهـ مـصـرـاـ قـالـ: أـنـتـ الآـنـ تـرـجـعـ إـلـىـ قـولـيـ وـمـذـهـبـيـ وـطـرـيـقـيـ، وـكـأـنـهـ وـضـعـ سـوـرـاـ عـلـىـ الـحـقـ لـاـ يـدـخـلـ أـحـدـ إـلـاـ بـوـاسـطـتـهـ وـمـنـ طـرـيـقـ، وـبـعـدـ التـفـتـيـشـ فـيـ هـوـيـتـهـ!

وـغـالـبـ المـنـاظـرـ تـعـبـرـ عـنـ مـصـدـاقـ الـخـبـرـ النـبـويـ ((الـشـحـ الـمـطـاعـ، وـالـهـوـيـ الـمـتـبـعـ، وـإـعـجـابـ كـلـ ذـيـ رـأـيـ بـرـأـيـهـ)). (أـخـرـجـهـ أـبـوـ دـاـوـدـ، وـالـترـمـذـيـ)، وـقـالـ: حـسـنـ غـرـبـ.

قـبـلـ لأـحـدـ الصـالـحـينـ: مـاـ بـالـكـلامـ السـلـفـ أـنـفـعـ مـنـ كـلـامـنـاـ؟

قـالـ: لـأـنـهـ تـكـلـمـواـ لـعـزـ إـلـاسـلـامـ، وـنـجـاهـ النـفـوسـ، وـرـضـاـ الرـحـمـنـ، وـنـحـنـ نـتـكـلـمـ لـعـزـ النـفـوسـ، وـطـلـبـ الدـنـيـاـ، وـرـضـاـ الـخـلـقـ. الـلـوـلـ بـالـغـرـائـبـ وـالـعـجـائـبـ وـالـبـحـثـ عـنـ الـمـهـجـورـ مـنـ الـأـقـوالـ، وـكـأـنـهـ يـنـشـرـ سـنـنـاـ قـدـ طـوـبـتـ، أـوـ يـحـيـيـ شـرـائـعـ قـدـ أـمـيـتـ، وـقـدـ حـذـرـ أـهـلـ الـعـلـمـ مـنـ «ـالـطـبـولـيـاتـ»ـ، وـهـيـ الـمـسـائـلـ الشـاذـةـ الغـرـبـيـةـ الـتـيـ تـضـرـبـ لـهـ الـطـبـولـ (حلـيةـ طـالـبـ الـعـلـمـ لأـبـيـ زـيدـ). وـأـهـيـاـنـاـ عـلـىـ النـقـيـضـ موـافـقـةـ السـائـدـ، وـالـدـافـعـ الـمـسـتـمـيـتـ عـنـهـ لـيـتـبـوـأـ مـنـصـبـاـ قـيـارـيـاـ لـدـىـ مـنـ حـولـهـ، وـلـوـ كـانـ هـذـاـ السـائـدـ مـخـالـفـاـ لـلـشـرـيعـةـ، أـوـ قـوـلـاـ ضـعـيـفـاـ.

الـتـكـثـرـ بـالـأـتـبـاعـ وـحـشـدـهـ وـإـشـاعـةـ الـعـصـبـيـةـ بـيـنـهـمـ، وـإـقـامـةـ الـجـدـرـانـ الـعـازـلـةـ تـحـتـ ذـرـيـعـةـ الـوـلـاءـ وـالـبـرـاءـ فـيـ مـسـائـلـ جـانـبـيـةـ وـخـلـافـيـةـ وـفـرـعـيـةـ.

قـالـ الـذـهـبـيـ "أـنـتـ ظـالـمـ وـتـرـىـ أـنـكـ مـظـلـومـ، آـكـلـ لـلـحـارـمـ وـتـرـىـ أـنـكـ مـتـورـعـ، وـفـاسـقـ تـعـنـقـ أـنـكـ عـدـلـ، وـطـالـبـ الـعـلـمـ لـلـدـنـيـاـ وـتـرـىـ أـنـكـ تـطـلـبـ لـلـهـ!"ـ (سـيـرـ أـعـلـامـ الـنـبـلـاءـ).

سـمـعـ الـإـمـامـ أـحـمـدـ أـبـاـ دـاـوـدـ صـاحـبـ السـنـنـ يـقـولـ: هـذـاـ شـيـءـ وـضـعـتـهـ لـلـهـ، يـعـنـيـ تـأـلـيـفـ كـتـابـهـ "ـسـنـنـ أـبـيـ دـاـوـدـ"ـ فـقـالـ لـهـ: أـمـاـ لـهـ فـشـدـيـدـ، وـلـكـ قـلـ: شـيـءـ حـبـبـ إـلـيـ فـعـلـتـهـ!

وـفـيـ بـعـضـ الـرـوـاـيـاتـ أـنـ الـإـمـامـ أـحـمـدـ قـالـ هـذـاـ عـنـ نـفـسـهـ، كـمـاـ يـدـلـ عـلـيـهـ كـلـامـ اـبـنـ تـيـمـيـةـ "ـمـسـأـلـةـ فـيـمـاـ إـذـاـ كـانـ فـيـ الـعـبـدـ مـحـبـةـ لـمـاـ هـوـ خـيـرـ وـحـقـ وـمـحـمـودـ فـيـ نـفـسـهـ"ـ.

مـرـاقـبـةـ الدـوـافـعـ مـنـ أـدـقـ مـعـانـيـ الصـدـقـ.

المصادر: